من شعراء الفترة المظلمة

السيد محمد زيني البغدادي

— ٢ —

واليك مرثيته لاستاذه الجليل نختار منها المطلع والتأريخ في آخرها وذلك سنة ١٢١٢ هـ قوله :

اليوم جدد رزء آل محمد وقضى بحزن للأنام مجدد
حاولت أعلى القول في تأريخه لمصيبة المهدي ناح المهتدي
وقصدت ثاني مانظمت مؤرخاً ودعت يامهدي شرع محمد

ولشدة حبه وإخلاصه لاستاذه هذا بقي بعد وفاته مدة يتصوره في عالم الذهن ويصعد أنفاسه حزناً وأسفاً عليه حتى اشتد يوماً به الحزن فارتجل :—

لله قبرك من قبر أحل به علم النبيين من نوح الى الخلف
ففي حياتك اشراع لما شرعوا وفي مماتك موت الدين والشرف

والذي نقرؤه من ديوانه أنه كان ولوعاً بحب الاخوان والتفاني في مواصلتهم والاشادة بذكرهم ، سواء في الحياة وفي الممات ، وبذلك نال مكانة في وسطه الواسع وزاد عليه علمه وفقه فبعثا به الى أسمى المنازل ، وقد برع بفن التأريخ فكان يأتي بفنون الجمل ويستخدمها في الولادة والوفاة أو العمران ماهنالك من سائر الحوادث التي تقفي ؛ ومن ذلك فاسمع بيتاً له من قصيدة يؤرخ فيها وفاة صديقه السيد احمد القزويني المتوفى سنة ١١٩٩ هـ :

وحبيت أقصى ماتشاء فأرخوا لك منزل في الخلد أزهر أحمد

ولا يفوتنك أيها القارئ مافي قوله : (وحبيت أقصى ماتشاء) من فكتة واشارة الى اضافة واحد في التأريخ لأن آخر — ماتشاء — الهمزه وهي واو بحساب الجمل .

وديوانه يعتبر كسفر تاريخي يصور لنا الحوادث كما يذكر أصحابها ويشير الى رجال ذوي نفوذ وسلطان قد أغفلهم التاريخ اوذكرهم ولكن بعدون في بطون الكتب المخطوطة ، وتراه يفهمنا باتصاله وامتزاجه مع رجال جيله ، ومنهم السادة النقباء العميديون المشهورون بـ « آل مراد » وهم الذين تولوا حكومة النجف ونقابة كربلاء وجدهم هو السيد مراد بن السيد أحمد كان أديباً شاعراً ، ذكره العلامة صاحب الحصون في كتابه « سمير المحاضر وانيس المسافر » وذكر له تخميسة لبيتي ابي الحسن التهامي الذي استشهد بها السلطان مراد خان العثماني ، وهما

علي أمير النحل حالي جنابه شفاء من الاسقام مس ترابه
ومن أجل سر مودع في رضابه تزاحم تيجان الملوك ببابه
ويكثر عند الاستلام إزدحامها

إمام قناه للاعادي تنصلت وكم نقمة منه لهم قد تعجلت
لهيبته صيد الملوك تذللت اذا ما رأته من بعيد ترجلت
وان هي لم تفعل ترجل هامها

وذكر السيد مراد الرحالة المكي السيد عباس في كتابه [انيس الجليس] عند دخوله النجف انه اجتمع بالسيد مراد سنة ١١٣٢ هـ كما ذكره السيد البرقي في كتابه المخطوط [اليتيمة الغروية]

وأفهمنا ديوانه أنه كان في عهد السيد علي بن السيد مراد الذي حكم الحلة الفيحاء وبعض نواحيها سنة ١١٩٣ هـ وتراه يثبت لنا عدة قصائد في مدحه منها في ولادة ولده السيد أحمد سنة ١١٧٧ هـ واليك منها ما نختاره قوله :

بشرى فطير السعد عاد يغرد إذ طاب عيشكم وطاب المورد
الله اعطانا المنى وصنيعه سراً وجهراً عندنا لا يجحد
فمن المواهب والعطايا انه ولد الجليل ابن الجليل الامجد
تلك العطية لا عطية فوقها فالله أحمد أن تولد احمد
فهل النساء ولدن يوماً مثله هيهات إن مثيله لا يولد

وفي ختامها يؤرخ عام الولادة :

أعلي يا نجل الاطايب هاكها لك تحفة جاءت بمدحك تنشد
هنئت بالولد الممجد احمد هو نعمة والشكر فيها يحمد
وبيوم مولده أتيت مؤرخاً سرت بمقدمك الورى يا أحمد

ومنها يهنئه في ختان اولاده ومؤرخاً في آخرها نقتطف منها قوله

سطعت لكم شمس المسرة والهنا فجلى سناها عنكم ليل العنا
وامد كم صبح السعادة مسفراً عن وجه يمن قد تهلل بالهنا
أعلي يانجل الكرام ومن سما قدراً له غدت الثريا موطنا
يهنيك بالابناء يوم ختانهم ولتقرن بيوم عرس أعينا
خذها ابنة الفكر المهذب تبتغي حسن الرضا اذ كنت منها أحسنا
جاءت وقد بهر الورى تأريخها دام السرور بكم ودمتم للهنا

وذلك سنة ١٢١٠ هـ واليك شيئاً من لاميته التي يهنيه بها عام ولايته الحكم في الحله سنة ١١٩٣ هـ

قوله :

بشرى فبدر العلى من مطلع الاول
بدا مضيئاً لأهل السهل والجبل
بشرى وبشرى بما جاء الزمان به
من صبح يمن على الأيام مقتبل
بشرى يصفو هنا ماشابه كدر
وطيب عيش هنيء العل والنهل
اليوم قد انجز الاقبال موعده
لنا وحقق منا صادق الامل

وانظر الى ختامها اذ يؤرخ فيه عام الحكم فيقول ومما ابدعه :

وتقبل هدية من أحيا الظلام لها عجالة الراكب الساري على عجل
وطار قلب العدى مما يؤرخه قد عمر الحلة الفيحاء حكم علي

والزيني شأن أخدانه ضريف هادي النفس بدعدغ الذهن ويلاعب المشاعر بأفل دافع وأضعف سبب ، وتراه يمثل لك شيئاً من هذا في ديوانه فتقرأ له « دوبيت » يتضمن النكتة ويرصد الخاطره المسليه ، وهاك فاقرأ بيتين أرسلهما له صديقه الملا يوسف بن محمد الازري من بغداد وقد شفعهما بـ « شطب » آلة من طين يشرب بها الدخان ابناء الماضي وشيوخ اليوم وهما

زان بعيني اذا تأملته شطباً حكى القد بالامين
فقلت أهديه الى سيد لايشرب الزين سوى الزيني

فأرجعه الزيني وكتب معه قوله ،

لاأشرب الشطب لانى امرؤ اتبع الشرع ولا اختلف
فكيف إذ لانعرف هذا به وقد بدا باللام بعد الالف

وكان الازري هذا أحد أصدقائه الاوفياء وله في قلبه مكان من الحب الصحيح ، ولما توفي رثاه الزيني بقصيدة طويلة نختار منها لك قوله :

بكيت لوان الدمع من لوعة يجدي
ونحت لوان النوح يشفي أخا الوجد
مجلي الرزايا كيف عادت تنوشه
ومردي المنايا كيف عادت له ترد
وكنت أظن الدهر طوع يمينه
وقد يهلك المولى بطاعته العبد(١)
على يوسف يستحقر الدمع من دم
وان كان مثل البحر في الجزر والمد

وفيها يشير الى الشيخ محمد رضا الأزري بقوله :

سيرضيك راضي بعده خلف له أخو كرم ما كدر الرفد بالوعد
لنا سلوة من بعد يوسف يوسف
به ينجلي عنا دجي الحزن والوجد
ادامهم الرحمن خير خلائق
حذا حذوه في الفضل والحل والعقد
تعال فشاهدهم تجدهم أماجداً رعاة لمسرع هداة لمستهدي
فيا ايها المولى الرضا من بالرضا على مخلص لم يخلط الود بالصد

وفي ختامها يؤرخ عام الوفات :

ولي حسن ظن فيك انك عاذري
اذا كنت فيما رمته باذل الجهد
ومذ سكن الرحمن يوسف أرخوا
ليوسف مكنا المنازل في الخلد

ولمزيد الصلة وخالص الود والوفاء في نفس الزيني فقد كر مرة ثانية فرثاه بقصيد نختار منها آخرها وهو التاريخ بقوله :

اصبحت الجنان مثوى يوسف والحور والولدان فيها صحبه
بالأمد استبعت اذ أرخته ليوسف اكرم مثوى ربه

وكانت وفاته سنة ١٢١١ هـ كما ذكر نجل المترجم السيد جواد في كتاب (دوحة الأنوار) .

« يتبع »

البيان

(١) هكذا وجد في الاصل